مزارعو الخضار في الاغوار ينتجون الخيرات ويحرمون من التمتع بها

قيود اسرائيلية مشددة .. و«دعم» اردني على شاشة التلفزيون فقط

عكست المشاركة الجماهيرية الواسعة لمزارعي الاغوار في تظاهرة الاحتجاج التي نظموها،الاسبوع الماضي،امام بلدية اريحا،احتجاجا على القيود الاسرائيلية المفروضة على تسويق منتجاتهم في الاسواق الاسرائيلية ،تراكم معاناة هؤلاء المزارعين التي لم يعد بامكانهم كبتها،تماما كما لم يعد بامكانهم الاستمرار في رؤية "الاخرين" يستمتعون بالخيرات التي تنتجها سواعدهم،ورؤية اطفالهم في الوقت ذاته يعانون من الفقر والمرض وسوء التغذية،الناجمة عن استمرار فرض القيود على زراعتهم،بدءا بتحديد المساحات المزروعة ،وتحديد كميات المياه المسموح باستخراجها من الابار،واغلاق المراعي،واخيرا اغلاق الاسواق.

تتلاشى بعض عائلات المزارعين الخسائر بتوفير اجور العمال، ولكن لذلك ثمن باهظ منه تشغيل الاطفال بعد المدرسة او اخراجهم منها . ويتسبب ذلك ايضا في تشوهات في العمود الفقري للشبان صغيري السن .

مشكلة تكرر كل عام

وبالرجوع الى مواسم الزراعة الماضية ، نلاحظ ان المزارعين يعانون كل عام ، المشاكل اياها . وهذا ناجم عن عدة اعتبارات من اهمها ان العلاقة بين الاسواق الاسرائيلية واسواق المناطق المحتلة تسير في طريق ذات اتجاه واحد . حيث يسمح للتجار والمصانع الاسرائيلية بتسويق منتجاتهم اللازمة للزراعة مثل النايلون وانابيب الري والاسمدة والمبيدات والبذور . وكما افاد الاستاذ فاروق عبد العال ، الذي يشرف على احدى اكبر المزارع في الاغوار ، فان المزارعين يتزودون من الاسواق الاسرائيلية سنويا بما قيمته خمسة ملايين دينار اردني . ويسمح في الوقت نفسه للمنتجين الاسرائيليين ببيع محاصيلهم في اسواق الضفة والقطاع دون قيود ، ولكن مجلس المستوطنات الاسرائيلية ومجلس تسويق الفواكه والخضار في اسرائيل يمارسان ضغوطا كبيرة لفرض القيود على المزارعين العرب .

ويشير المزارعون العرب بهذا الصدد ، الى انه ما دامت السلطات الاسرائيلية تحدد المساحات المسموح بزراعتها وتوزيع الاصناف المختلفة فيها ، فان هذا يجب ان يكون مرتبطا بضمان تسويق منتجات هذه المساحات والسماح للمزارعين بالتصدير المباشر الى الخارج عبر جمعياتهم التسويقية واطرهم الخاصة ، والسماح لهم بالتسويق كذلك في الاسواق الاسرائيلية (حتى مدينة القدس تعتبرها السلطات سوقا اسرائيلية) .

وماذا عن "دعم الاهل"؟!

رغم ان التلفزيون الاردني قد تلقف معاناة المزارعين . وحولها الى مادة دعائية في احد برامجه التنموية (مساء الجمعة الماضي) ، واعلن في نهايته عن ان الحكومة الاردنية سمحت باستيراد ١٢ الف طن من البندورة و ١٨٠٠ طن من البادنجان ، من الاغوار في الفترة الواقعة بين ٢٠ شباط وحتى ٣٠ نيسان ، الا ان هذا الاعلان ينطوي على قدر كبير من الوهم والخداع ، كما اكد العديد من المزارعين ، لاسباب نوجزها فيما يلي

١ ــ على الرغم من ان المساحات المزروعة هذا العام، لم تقل عن مثيلاتها في العامين الماضيين ، الا ان الحكومة الاردنية ، تقلل كل عام الكمية التي تسمح بادخالها الى الاسواق الاردنية . وبالرجوع الى ارشيفنا ، واعلانات جمعية اريحا التعاونية للتسويق الزراعي نلاحظ ان كميات البندورة المسموح بتصديرها للاردن كانت خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة كما يلي :ــ

تقرير - عصام عاروري

النوع	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧
كمية البندورة المسموح بتصديرها	٢٣الف طن	١٩ الف طن	١٢الف طن

٢ ــ حدد الاعلان الاردني العشرين من شباط كموعد لبدء التصدير ، رغم ان خضار الاغوار تستمر في الانتاج لمواسم متتالية ، بدء١٠ من تشرين الثاني (البندورة التشرينية) ومرورا بكانونين الاول والثاني ، وتصل ذروتها في شباط واذار .

٣ ــ من الناحية النظرية يفترض ان يكون بدء التصدير في ٢٠ شباط ، ولكننا وفي جولة بين مزارعي اريحا يوم السبت (٣/٧) ، لم تكن قد حملت اى سيارة من اريحا الى الاردن رغم مضي ١٧ يوما على الموعد المعلن عنه لبدء التصدير .

٤ ــ اقتصر التصدير للاردن على الاغوار الشمالية ، حيث هناك اختلاف في ملكية الاراضي ونوعية الزراعة عن اريحا والعوجا . ففي الاغوار الشمالية يملك عدد محدود من العائلات والاشخاص الموالين للاردن مئات الدونمات ، وهؤلاء يربطون المزارعين بهم بمنح الديون لهم على مدار العام ، ويربحون منهم في بيعهم كل ما يلزم لتجهيز الزراعة . ويملكون سيارات الشحن التي تنقل المحاصيل للاردن ، ويرتبطون مباشرة او عبر فروع لهم بمحلات "قوميسون" في سوق الخضار المركزي في عمان . ولذلك فانهم في اسوأ الاحوال يضمنون تشغيل شيارتهم ويربحون من "القوميسون" ومن بيع التجهيزات الزراعية ، وفوق ذلك لا يبذلون اى مجهود في الزراعة . فان ربحت يربحون على المضمون وان خسرت لن يخسروا شيئا .

٥ ــ رغم تحديد الحكومة الاردنية للكميات المسموح بتصديرها ، الا انها لا توفر لهذه الكميات اية حماية ، ولا تسهل بيعها للاسواق العربية . ويلاحظ المزارعون انه بمجرد وصول محاصيلهم للاسواق الاردنية تتدنى الاسعار ، بشكل كبير . وبحساب تكاليف البيع في الاسواق الاردنية (اجور الشحن ، تكاليف الصناديق القوميسون ، والتعاريج ــ بتكلفة اجمالية تقارب الـ ٤٠٠ دينار اردني) ، كل هذا يقلل من رغبة المزارعين في التصدير للاردن ، ولذلك فهم يطالبون اولا بحماية منتجاتهم .

وبعد

ادت هذه القيود المزدوجة ، من "اولي الامر" غربي النهر وشرقه الى توجيه ضربة قاصمة للمزارعين ، حيث انخفضت اسعار الخضار بشكل حاد ، وعلى سبيل المثال ، يباع صندوق البادنجان سعة ١٥ كغم بسعر الجملة في سوق خضار اريحا بثلاثة شيكلات ، يدفع منها المزارع اجور قطف ونقل وعمولة بيع . ويستفيد منها فقط اذا قطفها هو وافراد عائلته اجور القطف فقط. اما صندوق البندورة سعة ١٤ كغم فيباع بـ ٥ شيكلات، وصندوق الكوسا يتراوح سعره بين ٣ ــ ٥ شيكل . مما يهدد مئات المزارعين بخسائر محققة . ومن النماذج على ذلك المزارع وليد ابو شوشه ، الذي زرع وشركاء له ٩٠ دونم خضار كلفتهم ٦٥٠٠ دينار ، ولكنهم حتى الان لم يستردوا منها سوى ٢٥٠٠ دينار .

محاولات لحل الاشكالات في كفر قليل والحفاظ على وحدة القرية

وردت الى مكاتب الطليعة عريضة من اهالي قرية كفر قليل حملت تواقيع ١٣٩ مواطنا وارقام هوياتهم تعلن عن سحب الثقة، من المجلس القروي (وذلك) لسوء ادارته لشؤون القرية "على حد ما جاء في العريضة .

هذا وقد توجه مراسلنا الى القرية واجرى حديثا صحفيا مع السيد سليمان صايل رئيس مجلس قروي كفر قليل، حول مطالب الاهالي، فنفى في مستهل حديثه ان يكون قد حدث تلاعب باموال المجلس . وقال انه تخصص (في عام ١٩٨١) مبلغ ٣٠ الف دينار لمساعدة القرية لاقامة بعض المشاريع لكن السلطات الاسرائيلية عارضت في استلامنا المبلغ، في حينه ، وعدلت مؤخرا عن موقفها، وسلمنا ١٤ الف دينار على حساب المبلغ الاصلي .

واضاف اننا سنرصد هذا المبلغ لبناء غرف اخرى لمدرستي القرية ، وكذلك لتزفيت شارعين داخليين، ولقد تمت بتقديم عطاء بهذه الغاية، وسنعلن عن عطاء آخر في المستقبل القريب " .

من ناحية ثانية ، اشتكى السيد صايل من تجاهل السلطات لاقتراح تقدم به لاقامة مدرسة ثنوية مشتركة لابناء قرى "روجيب " و"عورتا" و"كفر قليل " .

وحول "التصرف بالاموال" رد رئيس مجلس قروى "كفر قليل " "باند لا ينفق شيئا بدون تسجيل رسمي" ولدى المجلس مدقق حسابات قانوني، كما يقوم ديوان المحاسبة وملتقى المجالس العامة بمراجعة هذه الكشوفات .

واعلن السيد صايل بانه سبق وان قدم استقالته من المجلس القروى اربع مرات . لكن السلطات رفضتها جميعا . واكد من "انه سيقدم استقالته نهائيا هذه المرة .لكن بعد ان يبرئ ذمته من الاموال (الاخيرة) بتنفيذ بعض المشاريع " .

ومن الجدير بالذكر ان عدد سكان قرية كفر قليل يبلغ ١٨٠٠ مواطنا، يعملون في الزراعة وفي سوق العمل الاسرائيلي .

من ناحية ثانية اكد المواطنون الذين التقى بهم مراسلنا ، انهم لا يريدون المجلس الحالي ، لانه لم يقدم اى خدمات ملموسة خلال عهده " فلا توجد في القرية عيادة صحية، ومعظم شوارعها الداخلية غير معبدة ، كما يفرض المجلس ضريبة تبلغ ٥ دنانير عن كل مواطن فوق سن ١٨ عاما منذ عام ١٩٨٥ . كما اكدوا انهم امتنعوا عن دفع هذه الضريبة لانهم لا يتلقون اى خدمات مقابل ذلك "

ويذكر ان عدد المكلفين بدفع الضريبة يبلغ ٣٥٠ مكلفا من مواطني القرية .

وقال احدهم ، ويدعى "ابو علي" بان المجلس عرقل مشروع ايصال المياه لمنازل القرية . وعارض تنفيذ هذا المشروع بدون ابداء الاسباب .

وبعد ، لقد كان هذا عرضا للمشاكل التي تعاني منها قرية كفر قليل عرضناها كما استمع اليها مراسلنا من الفريقين المختلفين . وعلمت "الطليعة" انه تجرى في المرحلة الحالية محاولات لحل هذه الاشكالات والحفاظ على وحدة القرية .

صباح الخير

الفتى الذى استأنس الفئران !!

كان الفتى اسماعيل * ، بخلاف اصدقائه ، مفزوعا تخونه قدرته على تقمص "الرجولة" وشدة البأس ، ويفضح زوغان عينيه السوداوين ذلك الرعب الذى يشده الى تلك الزوايا القصية من المخاوف،حيث يربض ملامقها لها نزوع انسانى الى افتعال الطمأنينة كنوع من الدفاع الذاتي في مواجهة ما يتهدد سكون النفس...وعلى عادة حلقات السمر في الليالي الربيعية المقمرة،يسهب فتى آخر في رسم معالم ابطال حكاياته،ويغلفهم بهالة تلبس عقول مستمعيه الصغار بشيء من المهابة، والفتى كان يتحدث ،وفي الغالب تكون البطولة اسطورية خارقة تثير في داخل الفتيان الصغار، تمنياتهم المستحيلة في الوصول الى مشارف هذا النوع من "البطولات"،ويسهب مسروقا بحماسه الى وصف ادق التفاصيل في حركة "بطل" فيلم امريكي،حيث "البطولة" مطلقة وعمية على الفعل الانساني،وقصة الفيلم تحكي بمشاهد مرعبة عن جبروت "البطل" في ابادة "كتائب" من الفئران تهاجم الحانات،والملاهي،ومحطات القطارات، وتقضم بأسنانها الحادة اذرع ووجوه النساء والاطفال والرجال،وتصطبغ على مخيلة الصغار،وعلى وجناتهم حمرة الدم القانية!!

والفتى المفزوع تتألب عليه مخاوفه،ويزيدها حدة ما يساوره من شك في قدرته على استئناس الفئران حيث ينام،وفي كل مرة،يسأله اترابه مستفسرين عما يقلقه،تجره المباهاة الطفولية الى "اكاذيب بيضاء"،وتجهده محاولات اقناعهم بأن "معلمه" في الورشة يوفر له غرفة نوم مريحة في "بئر السبع"،ولكن هذه المرة ، تذهب به مخاوفه شوطا بعيدا عن اكاذيب الصغار المبرأة،ويحكي... ويتناقل الصغار الحكاية ، وتعرف "ام اسماعيين" ان ولدها البكر يشقى على مدى ساعات النهار في كنس اكوام القمامة في أزقة سوق الخضار،ويمتثل ،مرغما،لصراخ مسؤولية وينهك قواه الى آخر مدى من التعب حتى يتكيء على عصا مكنسته... ويتنامى في صدر الوالدة قلق الامومة،فتطرق السمع الى حكايات اترابه،وتعرف ان اسماعيل يأوى كل يوم ، مع غروب الشمس،الى وحدة مراحيض عامة،وهناك في وحدة المراحيض يتنفس رائحة البراز،ويقتل ساعات الارق الطويلة،الباردة،بمراقبة حركة الفئران الدائبة، ونهمها الذى لا يشبع... ويكوّن الليل طويلا يزيد في امتداده مجافاة النعاس والخوف وبرودة الشتاء القارصة،وفي الاتحطات التي يتناهى فيها الى سمعه هدير محرك سيارة "البوليس" يبكي اسماعيل بصمت ، وتتبدى له الفئران صديقة، ودوده،ويتضاءل خوفه منها حتى يتلاشى امام رعب اكثر سطوة على حياة الطفولة!!

واسماعيل فتى كان يحلم والده بأن يجعله معلما ، ولما زاد ضنك العيش،وعرف الوالد بأن المعلمين يتقاضون راتبا لا يسد الرمق،بالغ في حلمه،ومس في اذن زوجته:"سأظل اشقى حتى يصير اسماعيل دكتورا!!" ومات "ابو اسماعين" وظل الابن يراوده حلم والده،حتى اتت الحاجات اشقاه وشقيقاته ،الصغار،من اجل الخبز والكراريس على يداعة الحلم،فاخلم قلب الفتى اشفاقا،ومعه اخلع حلمه الى ان افضت اماني الفقراء الى استئناس الفئران في مراحيض "بئر السبع" فأى ثمن قد يكفي لتعويض الفتى؟؟!

* اسماعيل شخصية حقيقية،وهو الى اليوم ،لا يزال زبالا يستأنس الفئران.

- فالح العطاونة -